

ثالوث الذكاء.. زاد مسافر!

الذكاء الفطري، الذكاء الإنساني، والذكاء الاصطناعي

بحث في الصفات والمآلات

لم يكُ الإنسانُ أكبرَ خلقِ الله، لكنَّهُ بلا ريبٍ هو أكثرُ مخلوقاته تمايزاً وجدلاً. فأما الجدُّ فقد كانَ عندَ الإنسانِ منهجاً ولازمةً وجودٍ، ولا يزال. وأما التمايزُ فكانَ بقدرِ الإنسانِ على الخلقِ، والنفسُ قرينهُ القدرة. هو لا يثبتُ على حالٍ، ولا يقنعُ بمعاشٍ. هو دائمُ التَّعبيرِ والتَّرحالِ في الحالِ والأحوالِ، وفي هذا يكمنُ ضربٌ من ضروبِ التَّمايزِ ربَّما. زاده عقلٌ وفطرةٌ. فأما الفطرةُ فلازمةٌ بقاءٍ. وأما العقلُ فمحرِّكٌ بحثٍ وتفكُّرٍ. وفي هذا الأخيرُ كانَ فضلُهُ وسؤالُهُ.

بفضلِ العقلِ المُفكِّرِ كانتِ سطوةُ الإنسانِ على هذه الأرضِ. وبفضلهِ كانَ استثمارُ الإنسانِ في مُطلقِ العوالمِ والفضاءاتِ. استثمرَ في البرِّ والبحرِ. ارتقى سماءً، واستنبطَ أرضاً. استثمرَ في النَّباتِ والحيوانِ. استغلَّ الحجرَ والشَّجرَ. صهرَ المعدنَ، عقلنهُ. حرَّكهُ على ما يرغبُ ويرضى. حتَّى انتهى به المطافُ إلى منحِ المعدنِ بعضَ الاستقلاليَّةِ حينَ عملهِ وتنقلِهِ. فكانَ أن وُلدَ مفهومُ الذكاءِ الاصطناعيِّ، منتوجُ فكرِ الإنسانِ المُعاصرِ ومحطِّيَّةِ فكرِهِ. وبِهِ ومعهُ، سيَّسِمُ الإنسانُ جُلَّ حاضرِهِ وجميعِ القادمِ من آيامِهِ.

وأما مخلوقاتُ اللهِ الأخرى فقد التزمتِ القانونَ الإلهيَّ على حرفِهِ. هي مطبِعةٌ لخالقِها لا تحيدُ عن شرعِهِ ما أقامت. أرادها أن تكونَ فكانت. رسمَ لها خطاها فانطلقت. هي ما تزالُ قائمةً على عملِها التي فطرتَ عليه منذَ الأزلِ، غيرَ أبهيةٍ بما كانَ أو قد يكونُ. زادها في حلِّها وترحالِها غريزتها، فطرتها التي فطرتَ عليها.

ذكاء المادَّة (الذكاء الفطري)

منذُ الأزلِ، وذرةُ الأكسجينِ تألَّفَ ذرَّةُ الهيدروجينِ، فتعانقَها في بديعِ فطرةِ الماءِ أسُّ الحياةِ وأساسِها. حبةُ القمحِ في تلمِ الأرضِ، لم تنسَ أبداً أيَّانَ مبعثُها. هي أنفتتِ شرائطَ صحوتِها. فمتى تألفتِ من حولِها تلكمُ الشُّروطُ، مرَّقتِ قشرَها وانطلقتِ تشتمُّ ضوءَ الشَّمسِ. البهيمةُ في مرعاها، سبرتِ قِبَلِ الإنسانِ أسرارَ الصِّفاتِ. علمتِ إنانها دورها في بقاءِ النَّوعِ، فتشابهتِ الحواضنُ شكلاً وقوَّةً. وأما ذكورُها فعلمتِ فضلُها في تحسينِ النَّوعِ، فعالتِ جمالاً وتمايزتِ قوَّةً. الجنسُ وظيفةٌ، والصِّفاتُ فعلٌ جينات. فتعلَّمتِ السَّبيلَ لانتقاءِ الأجوِدِ منها. صراعُ فحولها ليس رفاهاً، بل هو الوَسيلُ إلى تظهيرِ مكنونِ الخزينِ الجينيِّ.

وقبلَ هذا وذاك كانتِ المادَّةُ الأولى؛ باكورةُ الخلقِ وعمَّالُ المشيئةِ الإلهيةِ. ففُهِتْ تلكمُ المادَّةُ صنعةُ البناءِ والتَّكوينِ. فانطلقتِ حثيئةً تتلقَّفُ فيضَ الأمرِ الإلهيِّ، عاملةً على تكتيفِ الرَّغبةِ واقعاً مُعاشاً. شكَّلتِ الأكوانَ، كما وشكَّلتِ المُكوناتِ. اللهُ جَلَّ وعلا يشاءُ، والمادَّةُ تفعلُ ما يشاءُ. هي تعلمُ كيفَ تعملُ دونَ أن تعيَ بالضرورةِ ماهيةَ عملِها. هي اخترنتِ بشاياتِ تكوينِها أنظمتها عملِها، فانطلقتِ من فورِها على تنفيذِ الدَّورِ. هي مشغولةٌ على تفصيلِ دقيقٍ هنا، ورسمٍ أدقِّ هناك، أما التَّصوُّرُ النَّهائيُّ فجرزٌ قديرٌ لا يُطالُ.

هذا بعضٌ من فيضِ الدَّهشةِ والإبهارِ. هي فطرةُ اللهِ التي فطرَ عليها مخلوقاته جميعها، دقيقها وجسيمها، خفيها وظاهرها، ساكنها وجوَّالها. هي الكفلُ لبقاءِ ما أرادَ اللهُ بقاءَهُ. وهي حتميةُ الفناءِ لكلِّ ما عَجَّلَ اللهُ زوالَهُ. هي النَّظامُ لكلِّ ما نعلمُ، وما لا نعلمُ. هي الذكاءُ الفطريُّ للمادَّةِ مخلوقاتِ اللهِ جَلَّ وعلا.

هو ذكاءُ المادَّةِ في أن تكونَ الوجودَ والدَّورَ معاً. ذكاءُ المادَّةِ في أن تتدبَّرَ أمرَها في هذا الكونِ الرَّحيبِ الرَّهيبِ. هو ذكاءُ المادَّةِ في أن تكونَ فرداً مُستقلاً قابلاً للوجودِ، وذكاؤها في أن تلتحمَ في الكلِّ اللَّامتناهيِّ في الوقتِ ذاتِهِ. ففطرةُ الماءِ تعلمُ كيفَ تحتجبُ لجةَ البحرِ إذا ما دعتهِ الضرورةُ. وهي تعلمُ كيفَ تُسفرُ عن ذاتِها حرَّةً تمتطي كنفَ الرِّيحِ إذا ما أرفَ الأوانُ. هو الذكاءُ الغريزيُّ للمادَّةِ، المُستبطنُ للوعيِ، المُنتسبُ إلى اللاوعيِ. هو ذكاءُ المادَّةِ في تحقيقِ الدَّورِ خدمةً للغايةِ الأسمى، التي تجهلُها ربَّما.

هو ذكاءُ المادَّةِ في تدويرِ مواردِ الطَّبيعةِ. حلقهُ الطَّاقةُ مغلقةً، دونَ كسرها مآلاتٍ ومآلاتٍ أخطرُ من أن تُحصَر. لا تنفكُ المادَّةُ تُقلَّبُها من حالٍ إلى حالٍ. فواحدةٌ ترمي، وأخرى تتلقَّى. واحدةٌ تقني، فتبدأُ أخرى. واحدةٌ تطغى،

فأخرى تسعى فيها تلطيفاً وتهذيباً. يتناغم منتوج الفعل مع حاجات أفعال الآخرين. فتدوم الموارد، وتستمر الحياة كما رسم لها منذ بدء التكوين. إذ لا فناء للطاقة في سبفر التكوين.

هو ذكاء المادة في الربط والتشبيك مع شركاء الوجود جميعاً، لا تستثنى منها شاردة الكُلِّ فعّال في حركية الزمن. بعضها طويلاً، وبعضها قصيراً. بعضها مُجلجلاً، وبعضها صامتاً. بعضها مُتحرّكاً، وبعضها ساكناً. لكلُّ دوره، والكُلُّ ضرورةً وحتميةً. الكُلُّ بطلٌ والكُلُّ سنَدٌ. بطلٌ في حيثية هنا، سنَدٌ في كثيراتٍ غيرها. الكُلُّ في عين الكون، كما والكُلُّ في حلقات الهيكل. في أيّ نقطةٍ منه وقعت، كانت المركز وتخلّق الكون من حولها. سكنت القلب منه، ومدّت لها أذرعاً حبال تعليق ومواثيق ثبات. لا استثناء في ذلك، كما لا عبثية في عملية الخلق.

هو ذكاء المادة في التكاثر مع شركاء الوجود. فالواحد مبعث طاقة للجميع، والجميع يرميه بحمل من طاقته. الكُلُّ مُرسِلٌ، كما والكُلُّ مُستقطبٌ. تتداخل مفردات الوجود في نسيج كونيّ دقيق الحبيك. كلُّ حبكة فيه واسطة العقد. لا فضلٌ لصغيرٍ على كبيرٍ، إلا من زاده الله فضلاً. تهاون الواحد، تهاوى البنيان، أو كاد. والإشارات أكثر من أن تُحصى. فكم من حياة انتهت بنهاية أخرى. وكم من بنيان هوى على رجع آخر سقط هناك. إذا، هي التفاعلية ما يميز ذكاء المادة الفطري، وفيها مقتله أيضاً.

هو ذكاء المادة في التكيّف مع البيئة، وفي الإفادة من فعل الغير شركاء هذه البيئة. فهو ذكاء تطوريّ بامتياز. هو لا يبقى على حاله، دائم الفعل والتحديث. يستشعر تبدلات المحيط، ويجري مراجعات عميقة لكلِّ مُحدث طال زمن إقامته. يُقارِب، يقيس، ثم ينطلق إلى الفعل. وغالباً ما ينجح في تخطي امتحانات الجدارة. بيد أن بعضاً من هذه الأخيرة يفتقر فوق عتبة المرونة والقدرة على التكيّف، فتسقط المادة أمام نواب الزمن وتنزوي. ودائماً ما يكون لسقوطها رجع الصدى على جميع ما عداها من شركاء الوجود. فتزول حبة، وتبدأ أخرى بمعايير وأبجديات جديدة.

ذكاء الإنسان

لم تك حرية الإنسان في الفعل والفكر، على ما أظهرته قادم أيامه، عامل استقرار له. بل كانت على الدوام خلاف ذلك، مصدر قلقه وشفائه. فعقله لا ينفك يعمل، يتفكّر في شركاء الوجود كشفاً للأسرار واستدراكاً للحاجات المتعاطية. وفكره لا ينقطع يرفض كلّ وارد عقليّ، يفنّده. يعيب عليه قصور الصورة، ومنقوص البيان. فكان بنتيجتها أن أقام الإنسان عُمره مُجادلاً أشراً، وكان أن سكنه قلقه المُبدع أبداً.

هما أهم صفات الإنسان وأهم أفعاله، لا أختلفهما، المُجادلُ والجَدلُ. هو دائم الشكوى والمسألة. لا يقنع بحال، ولا يكتفي بمأل. خصه الخالق جلاً وعلا بحرية الفعل والفكر، ومنهما كان زاده مجادلاً لا يعرف التعب. لم يمنعه الخالق فطرةً لازمة بقاء، بل زاده عليها عقلاً مُفكراً باحثاً. وفيما كانت فطرته تعمل بصمت العارفين، كان عقله دائم الجلبة والحركة سمة المُتبحّجين. وفيما نجحت فطرته في حفظه من الفناء، ما زال عقله يسعى في مناكبها بحثاً عن مزيد من المكتسبات والروافع المادية والروحية ربّما.

انطلق الإنسان يستكشف العوالم، ترفعه جبالاً وتخفضه وديان. امتطى الموج كما الرّيح، بلغ مديات لم يبلغها سواه. طال الفضاء، نبش الأعماق. عرف الهزيمة، طعم علقم الانكسار، بيد أنه لم يعلم الاستسلام. الرّيات مشرعات أبداً، سلاحه في يمانه والطموح له عنوان. الفشل مقدّمه النّجاح، والعثرات زاد رحيل ومتعة رحال.

حقاً، لقد تبدلت كثيراً أحوال الإنسان المعاصر. فهو لم يعد ذلك الشارد الضعيف ساكن العراء، مُلتقم الخوف والقلق المشغول أبداً في دفع موجبات الفناء من جوع، وخوف، ووحش، وطبع قاسٍ لطبيعة بكر. ها هو الآن قد غدا سيّداً حاكماً على هذه الأرض. يدين له شرقها وغربها، بعض باطنها وقليل من سمك سمانها. دانته له السوخ، وانكشفت أمامه الموارد والكنوز. ومعهما، ربت علومته وتنوّعت خبراته. راكم الكنوز كما وراكم المعرفة.

التهم الإنسان موارد الأرض، كما وتشرب عروق المعرفة. ازداد ثقةً بقدراته، وفخراً بمُنجزاته. انتفتحت ذاته، فضاقت ذرعاً بمحدودية جسده. هو تواق إلى اللامتناهي، والجسد إطار من لحم ودم. هو الحالم أبداً، والجسد ثقيلٌ أسير التراب. عاب على جسده سرعة التعب وقلّة الحيلة. ضجر من بطء إيقاعه كما وكثرة شكواه. بحث في الحلول، وجد السعي لإيجاد البدائل وامتّمات الصورة. فكان أن وجد في المعدن ضالته. حمل المعدن أحلامه ومضى معه بعيداً في أمانيه. منحه الاستقلالية في العمل، ثم الذكاء حين العمل. أوجد فيه مفهوم الذكاء الاصطناعي. وبه أحكم سطوته على موارد الأرض، كما وسيطرته على شركاء الوجود. ومعهُ سيمضي الإنسان بعيداً. لكن إلى أين المنتهى أيها الإنسان؟ هل من استشراف لمآلات أعمالك؟ أم هل من هدف غير الملك يجول في حُسبانك؟

مِعْرَاجُ خِلاصٍ، أَمْ مَهِيْطٌ دَنِيْبَةٌ؟

هي ثَنَائِيَّةُ الرُّوحِ (١) والجسد من جديد. فيعد أن كانت قد طُبعت قَبْلًا ماضِي الإنسان، ها هي الآن تُقَرَّرُ حاضِرَةً ومستقبلَ أَيَّامِهِ. هي ميزانُ الصُّبْطِ لحاضر الإنسان ومستقبلِهِ. هي الجدليَّةُ القائمةُ أبدأً بين روحٍ ترقى، وبين جسدٍ يشقى. هي الصِّراعُ الأزليُّ بين اللَّامَنظورِ الأسمى وبين المحسوسِ الأدنى. هي محرِّكُ الإنسانِ على مرِّ الأيَّامِ والصورِ. لا تتركُهُ في هدأةٍ حالٍ، ولا تشفقُ عليه وجعَ أحوالٍ. تتقاذفه بين كَفْيَيْهَا بلا هوادةٍ. لا تمنحُهُ سَكِينَةَ الحَيَادِ والوسْطِيَّةِ. كما وتجعلُ الرَّحِيلَ نحو حُدُودِها دونَهُ الألامُ والأهوالُ. والأدهى الأمرُ، هي تُلزِمُهُ حتمِيَّةَ الحسمِ والاختيارِ.

نعم! على الإنسان أن يختارَ إِيَّانَ المسارِ. أمِعْرَاجُ رُفْعَةٍ أَمْ مَهِيْطٌ دَنِيْبَةٌ؟ كان حريًّا به أن يتسلَّقَ معارِجَهَا بما امتلكتِ يدها من مركبٍ معرفيٍّ، بيدَ أن جسداً ثَقِيلاً ثَبَّتَ وثاقَهُ على أرضِ الغريزةِ وأعاق صعودَهُ. فلطالما سادَ الجسدُ وتَجَبَّرَ. ولطالما ركنَتِ الرُّوحُ وانزوت. لكنَّ التَّنَاقُوشَ بينهما قائمٌ ما يزالُ. وفي انتظار أن يهدأَ سَعِيرُ المعركةِ وتتكشَفَ الرُّؤْيَةُ، يبقى الإنسانُ هو من يَأْلَمُ. فالجسدُ جسدهُ، والرُّوحُ خاصَّتُهُ. الرَّايحُ هو، والخاسرُ كذلكُ. أَيُّا يَكُ الفائِزُ، فالمهزومُ بَضْعٌ حَمِيمٌ منه. هو المخاضُ بكلِّ أوجاعِهِ ومشقَّاتِهِ. وعلى الإنسانِ بما امتلك من ذكاءٍ وفطرةٍ أن يسموَ فوق فحيحِ الجسدِ ويصغيَ فقط إلى نداءاتِ الرُّوحِ، ففيها خلاصُهُ ومِعْرَاجُهُ.

دُكَّاءُ الآلَةِ (الدُّكَّاءُ الاصطناعيُّ)

لطالما تَغَنَّى بقدرتِهِ على تطويعِ المعدنِ تحقيقاً لمنفعةٍ أرادها. فالإنسانُ ومنذُ الأزلِ استشعرَ قوَّةَ الصِّفَاتِ، وعلمَ فضلَ المعدنِ في إتمامِ محدودِيَّةِ القوَّةِ التي لديه. فلأزمَهُ معاشاً، وازدانت به حياثُهُ وتنوَّعت معه سبلُ معيشَتِهِ. جعلَ منه قوسَهُ ورُمحَهُ، سيفَهُ وترسَهُ. تقحَّم به مجاهلٌ واستباحَ محاذيرَ، فدانت له السُّوحُ وكانت له الثُّرُوةُ. حقاً، لقد وسَمَ المعدنُ حياةَ الإنسانِ على مرِّ العصورِ والأحقابِ.

تطوَّرت حياةُ الإنسانِ، وتطوَّرت معه معرفتُهُ في لازمةٍ عروجهِ المعدنِ. مازجَ عديدهُ واحترفَ طرُقَهُ وفنونَ سَبْكِهِ، فكان أن صاغَهُ تشكيلاتٍ وظيفيَّةً بديعةً. كما وزادَهُ فخراً قدرتُهُ على تحريكِ المعدنِ في الوجهةِ التي أرادها. فيها هو يحرِّكُهُ، ويضطربُ لرؤيتهِ يذعنُ لأمرِهِ. يديرُهُ ذاتِ اليمينِ وذاتِ الشمالِ، فيطَّاع. طوى به المسافاتِ، وقربَ البعيدِ حتى غدا في مرمى حجرِهِ أو كادَ. استحسَنَ فيه إتمامَهُ لدقيقِ الأعمالِ التي أنيطت به، فتجاسرَ عليه بعظيبتها. تنوَّعت المهامُ، وربت الحاجاتُ، فأرادَهُ خازناً لفكرِهِ فعلاً لأمرِهِ. أكثرَ من ذلك، أرادَهُ مُستشعِراً، مُبصِراً، مُفكِّراً، مُدبِّراً، فكان أن تمخَّضَ فكرُهُ مفهومَ الدُّكَّاءِ الاصطناعيِّ. هكذا هو الإنسانُ، لا حدودَ لطمعِهِ. لَمَسَ عند المعدنِ المرونةَ والإذعانَ، فأرادَهُ بديلاً عنه في الأعباءِ. وخصَّ نفسه بنعيمِ الجاهِ ولذَّةِ المُشْتَهَى.

الدُّكَّاءُ الصُّنْعِيُّ هو منتوجُ فكرِ الإنسانِ ومحظيَّتُهُ. الدُّكَّاءُ الصُّنْعِيُّ، كما يدلُّ عليه مخصصُ اللَّفظِ، هو صنعةُ الإنسانِ في المعدنِ ليجعلهُ على صورةٍ لطالما أرادها لذاتِهِ في السَّرعَةِ والإتقانِ؛ صورةَ الإنسانِ الخارقِ كاملِ الوصفِ فائقِ القدرةِ. هو نتيجةُ سعيِ الإنسانِ الحميمِ لتخطيِّ قصورِ الصُّورةِ، ومحدوديَّةِ الطَّاقَةِ. فالإنسانُ على ما فُطِرَ عليه مسقوفُ القدرةِ فأرادَهُ طليقها، محدودُ الفعالِ فأرادَ له عظيمها.

الدُّكَّاءُ الاصطناعيُّ هو وسيلةُ الإنسانِ لتوسيعِ المهامِ المُوكَّلةِ إلى المعدنِ من جهةٍ، ولرفعِ المردوديَّةِ من جهةٍ أُخرى. والرَّيحُ كما علمتُهُ غايَةُ الإنسانِ الأساسُ وإن سربلها ببريقِ القولِ وزخرفها ببديعِ المُطوَّلَاتِ. فلطالما كانت سرعةُ الإنجازِ مطلوبه، ودقَّةُ المنتجِ مُنتهى أمانيه. ومن أقدَرُ من المعدنِ على تحقيقِ هاتينِ الغايتينِ.

فالمعدنُ عاملٌ لا يكلُّ. لا يهابُ رتابَةً، ولا يضجرُ تكراراً. مطيعٌ. ضنينٌ على مُدخلاتِهِ. مُحافظٌ على مُخرجاتِهِ. لا يتمادى كثيراً في أشراطِ العملِ، وليس هناك من يدافعُ عن بيئتهِ عملِهِ. فهو لاءٌ قد اختصَّوا بعملِ الإنسانِ لا المعدنِ، على ما يدَّعونُ. لا يخشى صعاباً، ولا ينهزمُ من معركةٍ. يقتحمُ أتونَ نارٍ إذا ما دُعِيَ، ويندسُ تحت أنقاضٍ إذا ما أُستنْفِرَ. هو في السَّماءِ، في الفضاءِ، في مجاهلِ الأعماقِ، وفي باطنِ الأرضِ. هو في كلِّ السَّاحاتِ، ولجميعِ المهامِ، إذا ما أحسنَ إعدادَهُ.

مع ذلك، يبقى الدُّكَّاءُ الاصطناعيُّ صنيعَةً إنسانٍ، والقصورُ سمةٌ غالبَةٌ على جميعِ أفعالِ هذا الإنسانِ. ومن أهمِّ دلالاتِ القصورِ في الدُّكَّاءِ الصُّنْعِيِّ اعتمادهُ المُطلقُ على هذا الإنسانِ. فهو، وإن تجمَّلَ، أداةٌ غيرُ واعيةٍ. أداةٌ بمُدخلاتٍ ومُخرجاتٍ. هو لا يبتكرُ واردهُ، نفدتِ تلكمُ المواردُ انتهتِ بذاتِهِ دوراً وقيمةً. أكثرَ من ذلك، هو حبيسٌ واردهُ؛ زائدهُ ما أقامَ. مخلصٌ له، عاملٌ به، ساءَ هذا الواردُ أم صلَّحَ. حافظٌ له على حَرْفٍ، لا يعملُ فيه بناءً أم تحريباً. لا يسألُ في أمرِ أتاهُ، ولا يسألهُ عن فعلِ أداهُ. فلا مُساءلةَ لمن لا مُساءلةَ له. المسؤوليَّةُ هي في غيرِ مكانِ.

هي عند خالق هذا الذكاء ومديره؛ الإنسان. أمّا هو فحياديّ، لا ناقة له ولا جمل في كلّ ما يجري. هو يفعل ما يؤمر به وحسب.

وأما مُخرجاته، وإن اكتست الجرفة والدقّة لبوساً، فوحيدة اللون والرائحة والطعم. وهذا في ميزان الربحيّة لا قيمة له مادام المُنتج وفيراً وافراً. وما دام هذا المُنتج يُحقّق غايات الإنسان خالقه. وحين الحديث عن الإنسان الخالق، لا أعني مُطلق الإنسان. بل أخصّ الإنسان الخالق لهذا الذكاء الصنعيّ. وهو بالمناسبة إنسانٌ خاصٌ، بمواصفات استثنائيّة لا تشبه النَّاسَ في كثير من الأمر. فقط، المُشتركات التّشريحيّة ما تجمع. أمّا الأحلام فهي غير الأحلام، كذا هي الحاجات والتطلّعات. وفي هذا يكمن الإشكال الأساس. فالإنسان الخالق للذكاء الصنعيّ غير حياديّ في مُطلق الأحوال، وأمّا الله خالق الإنسان فغنيّ عزيزٌ على الإطلاق. والفرق جليّ عميقٌ.

ويبقى غياب التّفاعليّة عيباً يشين الذكاء الصنعيّ. هو يؤثّر جليّاً في الحياة من حوله كمّاً ونوعاً، دون أن يتأثّر بها بالضرورة. فلم أسمع عن ذكاء صنعيّ بكى حزناً على أطفال اليمن يموتون جوعاً. ولم أرى ذكاءً صنعيّاً أُضرب عن العمل بسبب طمع مالكيه وظلمهم. هو لا يبنتسم لطفلٍ يجبو، ولا يطرب لصادح يشدو. باردٌ كصقيع المعدن، وأشرطة التّوصيل الكهربائيّة خاصّته. هو ذكاء لا دم فيه. تُحرّكه مُعادلات رياضيّة جامدة. لا تؤمن بالتّوريّة ولا بالمجاز. كما وتمتّت المُحسنات البديعيّة والدلالات البعيدة. جوابها وحيدٌ قاطعٌ، لا فواصل فيه ولا أقواس.

كما ويفتقد الذكاء الصنعيّ القدرة على التّكيف كما على تطوير ذاته. هو أساساً ذكاء غير مُدرِك لهذه الدّات. لا يدري غايات وجوده ولا يتحكّم في مسيرته هذا الوجود. بل هو منفصلٌ عن هذا الوجود إذا ما أردنا الدقّة. لا يدري في أيّ بيئته هو عاملٌ، ولا يدري ما هي الظروف، فلا يسعى فيهما بحثاً وترقيّة. هو خاضعٌ بكلّيته لإرادة الإنسان خالقه. وعلى هذا الخالق أن يتفكّر بأحوال مخلوقاته تحديداً أم تشبيهاً. بات هو دون تطلّعات خالقه الإنسان، أعمل فيه أدوات التّحديث والتّطوير. خان أحلامه، ألقاه جانباً ومضى.

الخلاصات

أخيراً أقول، نجحت مخلوقات الله في الدّور والواجب، فيما أخفق الإنسان. نجحت لأنّها التزمت القانون الإلهيّ منهاجاً وشرعةً. نجحت لأنّها عرفت وسبّحت. فأنه جَلّ وعلا خالقها وهو بارئها (١). خصّصها وظيفياً، فكانت لوظيفتها عاملةً وعلى دورها ضمنيّة. فالأرض لا تنفك تدور، تُلقي العتمة تنشر النور. والريّح لم تكسل يوماً عن نشر المزن في الأنحاء، تروي ظمآن تطفئ حرّاً. وكما الشاة لم تبخل حملاً أبداً لبنها. كذا هي شجرة اللّيمون لم تغفل يوماً عن نشر ظلّها يفيئ مُتعباً، كما ثمرها يغيث عطشان. الكلّ لوظيفته عاملٌ، وعلى الدّور قائم ما شاء الله له دوام الحال والأحوال.

وأخفق الإنسان لما كان له الخيار. فأنه جَلّ وعلا ترك له حريّة الدّور والوظيفة. أبان له عظيم الفعّال ووضعها، جليل الخلاق ومشيئها. رسم له بجلاء العارفين معارج الرّفعة، ومزالق الدّنيّة. ثمّ قال له هاكم طريق الفرح، وهاكم طريق التّرح. أخفق الإنسان لما أنكر عجزه، وبالع في تصنيف ذاته. أخفق الإنسان لما اشتمت عليه سرّ الوجود وطويل المقام. فأما وجودك فمخطوط في سفر التّكوين من قبل أن تكون شيئاً يُذكر. وأمّا بقاؤك فهو كفل إلهيّ يحميك من نوازع الزّمان وتكوب الدهر. أخفق الإنسان لما ناداه الجسد فأصغى، ولما نادته الرّوح فأبى. أخفق الإنسان لما غرّته الحياة الدّنيا فآلهته عن الحياة الأعلى.

بيد أنّ المعركة لم تنته بعد. مازال الإنسان في أتونها، لم يحسم مصيره بعد. تتناوشه ثنائيات ضعفه وقلقه. تطيح به أحياناً، وتحمله أحياناً. المعركة مستمرة إلى أن يشاء الله لها حسماً. لا مكان لنشوة نصر هنا، وترنيمه حزن هناك. الزّمن ماض بنا إلى خواتيم لا مناص منها. فإمّا السّدره حيث المنتهى الأشهي، وإمّا سفر ولات ساعة مندم. فاعملوا شركاء الوجود على مكانتكم.. إني عاملٌ.

(١) استخدمت لفظ الرّوح طلباً للمجاز واستعارة لمفاهيم الحريّة والرّشاقة واللامحدوديّة الّلاتي تمتلكها في وعي البشر. غير أنّي أراها في غير هذه المعاني تماماً. فالرّوح هي المشيئة الإلهيّة في أن تكون. وهي بذلك عصيّة التّحديد، ولا تخصّ الإنسان في حال من الأحوال. لمزيد من الوضوح، اقرأ مقالتي: الرّوح والنفس.. عطية خالق وصنيعه مخلوق.

(٢) البارئ من أسماء الله الحسنى. الله البارئ هو الخالق مانح الوظيفة والدّور لكلّ مخلوقاته (رؤية شخصيّة).

في سياقاتٍ أخرى، أنصحُ بقراءةِ المقالاتِ التاليةِ:

- هل يفيدُ التَّدَاخُلُ الجِراحيُّ الفوريُّ في أدْيَاتِ النخاعِ الشُّوكيِّ ونِزِيلِ الفرسِ الرَضِيَّةِ؟
النقل العصبِيّ، بين مفهوم قاصرٍ وجديدٍ حاضرٍ
- The Neural Conduction.. Personal View vs. International View
في النقل العصبِيّ، موجاتُ الضَّغَطِ العاملةة *Action Pressure Waves*
- في النقل العصبِيّ، كموناتُ العمل *Action Potentials*
وظيفةُ كموناتِ العملِ والتَّياراتِ الكهربائيَّةِ العاملةة
- في النقل العصبِيّ، التَّياراتُ الكهربائيَّةِ العاملةة *Action Electrical Currents*
الأطوارُ الثلاثةُ للنقل العصبِيّ
- المستقبلات الحسيَّة، عبقريةُ الخلقِ وجمالُ المخلوقِ
- The Neural Conduction in the Synapses النقل في المشابك العصبِيَّة
- عقدة رانفييه، ضابطةُ الإيقاع *The Node of Ranvier, The Equalizer*
وظائفُ عقدة رانفييه *The Functions of Node of Ranvier*
- وظائفُ عقدة رانفييه، الوظيفةُ الأولى في ضبطِ معاييرِ الموجةِ العاملةة
وظائفُ عقدة رانفييه، الوظيفةُ الثانيَّة في ضبطِ مسارِ الموجةِ العاملةة
وظائفُ عقدة رانفييه، الوظيفةُ الثالثَّة في توليدِ كموناتِ العملِ
- في فقه الأَعْصابِ، الألمُ أولاً *The Pain is First*
في فقه الأَعْصابِ، الشكلُ.. الضرورةُ *The Philosophy of Form*
تخطيطُ الأَعْصابِ الكهربائيِّ، بينَ الحقيقيِّ والموهومِ
- الصدمةُ النخاعيَّة (مفهومٌ جديد) *The Spinal Shock (Innovated Conception)*
- أدْيَاتِ النخاعِ الشُّوكيِّ، الأعراضُ والعلاماتُ السريريَّة، بحثٌ في آلياتِ الحدوثِ *The Spinal Injury,*
The Symptomatology
- الرَّمع *Clonus*
- اشتدادُ المنعكسِ الشُّوكي *Hyperactive Hyperreflexia*
- اتِّساعُ باحةِ المنعكسِ الشُّوكيِ الاشتدادي *Extended Reflex Sector*
- الاستجابةُ ثنائيَّة الجانبِ للمنعكسِ الشُّوكيِ الاشتدادي *Bilateral Responses*
- الاستجابةُ الحركيَّةُ العديدة للمنعكسِ الشُّوكيِ *Multiple Responses*
- التنكُّسُ الفاليري، يهاجمُ المحاور العصبِيَّة الحركيَّة للعصبِ المحيطي.. ويعفَى عن محاوره الحسيَّةِ
- Wallerian Degeneration, Attacks the Motor Axons of Injured Nerve and Conserves its Sensory Axons
- التنكُّسُ الفاليري، رؤيةٌ جديدةٌ *Wallerian Degeneration (Innovated View)*
- التَّجْدُدُ العصبِيّ، رؤيةٌ جديدةٌ *Neural Regeneration (Innovated View)*
- المنعكساتُ الشُّوكيَّةُ، المفاهيمُ القديمة *Spinal Reflexes, Ancient Conceptions*
- المنعكساتُ الشُّوكيَّةُ، تحديثُ المفاهيم *Spinal Reflexes, Innovated Conception*
- خُلقتِ المرأةُ من ضلعِ الرَّجُلِ، راعةُ الإيحاءِ الفلسفيِّ والمجازِ العلميِّ
المرأةُ تقرُّ جنسَ ولدها، والرَّجُلُ يدعى!
- الرُّوحُ والنَّفْسُ.. عَطِيَّةُ خالقٍ وصنِيعَةُ مخلوقِ
خلقُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ أكبرُ من خلقِ النَّاسِ.. في المرامي والدلالاتِ
تُفاحةُ آدمٍ وضلعُ آدمٍ، وجهانُ لصورةِ الإنسانِ.

- حسبوا هذه
- سفينة نوح، طوق نجاة لا معراج خلاص
- المصباح الكهربائي، بين التجريد والتنفيذ رحلة ألف عام
- هكذا تكلم ابراهيم الخليل
- فقه الحضارات، بين قوة الفكر وفكر القوة
- العدو وعلو الاختلاف بين مطلقه وأمله ذات عفاف
- تعددت الزوجات وملك اليمين.. المنسوخ الأجل
- الثقب الأسود، وفرضية النجم الساقط
- جسيم بار، مفتاح أحجية الخلق
- صبي أم بنت، الأم تُقرّر!
- القدم الهابطة، حالة سريرية
- خلق حواء من ضلع آدم، حقيقة أم أسطورة؟
- شلل الضفيرة العصبية الولادي Obstetrical Brachial Plexus Palsy
- الأذيات الرضائية للأعصاب المحيطية (١) التشريح الوصفي والوظيفي
- الأذيات الرضائية للأعصاب المحيطية (٢) تقييم الأذية العصبية
- الأذيات الرضائية للأعصاب المحيطية (٣) التدبير والإصلاح الجراحي
- الأذيات الرضائية للأعصاب المحيطية (٤) تصنيف الأذية العصبية
- قوس العضلة الكائبة المدورة Pronator Teres Muscle Arcade
- شبيهه رباط Struthers-like Ligament ...Struthers
- عمليات النقل الوترية في تدبير شلل العصب الكعبري Tendon Transfers for Radial Palsy
- Who Decides the Sex of Coming Baby? (Concise)
- من يُقرّر جنس الوليد (مختصر)